جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

الوظائف النحوية والدلالية للجمل الوصفية في ديوان حسان بن ثابت دراسة نحوية دلالية

The grammatical and semantic functions of descriptive sentences in the collections of Hassan bin Thabit, a grammatical-semantic study

إعـــداد
د/ ســاميــة بنــت مُعمِّس يحيــى عســيري
أستاذ النحو واللغة المساعد بجامعة شقراء كلية التربية بالمزاحمية السعودية.

(العـدد الثالـث والأربعـون)
(الإصـدار الثالـث-أغسطـس)
(الجـزء الثالث (١٤٤٦هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٤/٦٢٧١م

الوظائف النحويـة والـدلاليـة للجمل الوصفية في ديوان حسان بن ثابت "دراسة نحوية دلالية"

سامية بنت مُعمِّس يحيى عسيري

قسم اللغة العربية، كلية التربية، المزاحمية. جامعة شقراء، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: *sasyri@su.edu.sa*

الملخص

تهدف الدراسة إلى بيان المراد بالجملة الوصفية وتمييز أنواعها ووظائفها النحوية، والوقوف على مدى مناسبة الصيغة التي يمثلها المسند للوظيفة والمعنى والزمن السياقي بديوان أبي الوليد حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ ومعرفة أثر عدول الصيغة في كل من الوظيفة والدلالة. تمثلت مشكلة الدراسة في أن الجملة الوصفية تُعَدّ مصطلحًا حديثًا لدى النحاة يحتاج إلى مزيد من العمل؛ لبيان ما فيه من وظائف نحوية يمثلها الإسناد داخل هذا النوع، علاوة على الصيغ الصرفية ومدى ملاءمتها للمعاني والدور الوظيفي، وما يترتب عن هذه المعادلة اللغوية من دلالات يحكمها السياق، ولفض هذا الاشتباك وترتيبه وتنظيمه اقتضت الحاجة البحثية تخصيص دراسة تتبنى هذا النوع من التراكيب، وتعمل على بيان ما فيه من مظاهر الجمال والدلالات. استندت الدراسة إلى المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل الجمل الوصفية المستخدمة في ديوان حسان بن ثابت؛ لفهم دورها النحوي والدلالي، وللكشف عن البراعة والمهارة التي اتسمت بها لغة شاعر الرسول في استعمال هذا النوع من التراكيب. وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج؛ أهمها: كان للعدول في الصيغة الصرفية المتمثلة في المسند الوصفي في التراكيب الجملية الوصفية أبلغ الأثر في الدلالة التي تؤديها تلك التراكيب الجملية؛ مثل: نفي الظنون التي تكون عارضة في مصاحبة بعض التراكيب عند تأسيسها على صيغ معينة؛ فيكون العدول مانعًا للبس من أول وهلة. كما اتخذت الدراسة بعض التوصيات؛ منها: دراسة الوظائف النحوية التي تؤديها الجملة الوصفية بالمقارنة بالوظائف التي تؤديها أنواع أخرى من الجمل؛ مثل: الجملة الشرطية أو الظرفية.

الكلمات المفتاحية : الوظائف النحوية ، الدلالات، الجملة الوصفية، حسان بن ثابت.

The grammatical and semantic functions of descriptive sentences in the collections of Hassan bin Thabit, a grammatical-semantic study

Samia bint Muammas Yahya Asiri
Department of Arabic Language , College of Education, Al-Muzahmiyah, Shaqra University , Saudi Arabia.

Email: *sasyri@su.edu.sa*

Abstract:

The study aimed to demonstrate the purpose of the derivative sentence, distinguish its types and grammatical functions, determine the appropriateness of the formula represented by the backstop of the job and the meaning and time contextual of the Office of the Father of the Newborn Hassan bin Thabet, and know the impact of the non-formulation on both function and connotation.The problem with the study was that the derivative phrase was a modern term for a sculptor that needed further work to demonstrate the grammatical functions represented by attribution within that species. and the implications of this linguistic formula governed by the context ". In order to resolve, arrange and regulate this engagement, the need for research requires that a study be devoted that adopts this type of structure, and that it demonstrate its beauty and connotations.The study was based on the analytical derivative approach by analysing the derivative sentences used in the Diwan Hassan Ben Thabet, to understand its grammatical and semantic role, and to reveal the ingenuity and skill of the language of the apostle poet in using this type of composition.

The study reached a set of findings; Most notably: the non-formulation of the derivative base in the derivative aesthetic compositions had the most significant effect on the meaning of the synthesis; Such as: deny the belief that is casual in accompanying certain compositions when they are based on certain formulas; It is not confusing at first glance.

The study also made some recommendations; These include: examining the grammatical functions performed by the derivative sentence compared to those performed by other types of sentences; Such as: conditional or circumstantial sentence.

Keywords: *Grammatical Functions , Connotations , Derivative Sentence, Hassan Ben Thabit*

المقدمة

يُعَدّ مصطلح الجملة الوصفية من المشترك اللفظي الاصطلاحي؛ كونه مصطلحًا عرفه القدماء بمفهوم يختلف عما تناوله بعض المحدثين للمصطلح نفسه؛ فمن المعروف في التراث النحوي أن الجملة الوصفية يُراد بها الجملة التي تقع نعتًا لنكرة محضة تسبقها؛ وذلك بالاستناد إلى القاعدة التغليبية ذائعة الصيت في الدرس النحوي التقليدي، التي مفادها: أن الجمل وأشباهها بعد النكرات صفات وبعد المعارف أحوال، وقد ظل الأمر مستقرًا حتى بدأ بعض المحدثين في تناول المصطلح بمفهوم جديد يختلف تمامًا عما استقر عند النحاة القدماء؛ ذلك أن بعض المحدثين نظر إلى مصطلح (الوصفية) من زاوية صرفية قاصدًا به الاشتقاق بمعناه الضيق الذي يراد به المشتقات العاملة عمل الفعل من رفع ونصب؛ وهذا يشمل: اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وصيغة المبالغة، واسم التفضيل... وهي رؤية يتعانق فيها النحو من خلال عمل تلك المشتقات، والصرف من خلال ما تمثله تلك المشتقات من صيغ صرفية يترتب عليها معانٍ وظيفية صرفية.

سيسعى البحث لاستكشاف العلاقة بين بنية الجملة الوصفية وبين مضامينها اللغوية والثقافية، محاولين فهم دورها في إثراء التعبير اللغوي والتواصل الفعّال، كما سيسلّط الضوء على تأثيرها في تركيب النصوص وتحقيق تأثيرات بلاغية، وسيعرج على تنوع استخداماتها في مختلف السياقات اللغوية والأدبية، ولما يحتويه هذا النوع من وظائف نحوية ودلالات سياقية؛ ومن ثم فهو يمثل تعانق النحو مع الصيغ الصرفية وما ينجم عن ذلك من دلالات ومعانٍ تمثل ذروة التطبيق الاستعمالي لنظرية النظم الجرجانية، وهذا ما سيحاول البحث تحقيقه وبيانه في مباحث الدراسة ومطالبها.

أهمية البحث:

تستمد الدراسة أهميتها من عدة أمور؛ لعل أبرزها:

١. أهمية ديوان حسان بن ثابت بوصفه سفرًا أدبيًّا تاريخيًّا واجتماعيًّا يعكس الحياة بكل عناصرها في العصرين: الجاهلي، وصدر الإسلام.

٢. أهمية حسان بن ثابت بلغته الأدبية الرصينة بوصفه أديبًا بارعًا مبرزًا يقبض على عنان البيان ويسبق به في كل ميدان، لا سيما أنه شاعر مخضرم في عصرين من أزهى العصور الأدبية، وكونه شاعر الرسول المنافح عن بيضة الدين والمؤيد من السماء.

٣. ثراء الجملة الوصفية الاشتقاقية بالوظائف والدلالة التي تحتاج إلى من يغوص في بحرها ويستخرج لآلئها ودُرّها.

أهداف البحث:

عملت الدراسة على تحقيق مجموعة من الأهداف؛ لعل أبرزها:

- بيان المراد بالجملة الوصفية وتمييز أنواعها ووظائفها النحوية.
- الوقوف على مدى مناسبة الصيغة التي يمثلها المسند للوظيفة والمعنى والزمن السياقي بديوان أبي الوليد حسان بن ثابت رضي الله عنه.
- معرفة أثر عدول الصيغة في كل من الوظيفة والدلالة بديوان أبي الوليد حسان بن ثابت رضي الله عنه.

مادة البحث:

الدراسة ستكون تطبيقية على ديوان حسان بن ثابت[١] لأهميته بوصفها كتابًا تاريخيًّا أدبيًّا يعكس الحياة: الأدبية، والسياسية، والثقافية، والاجتماعية في العصرين: الجاهلي، وصدر الإسلام، علاوة على ما فيه من لغة أدبية عالية رفيعة المستوى تمثل اللغة الفصحى العالية في أزهى عصورها وعنفوانها؛ وذلك بالوقوف على الوظائف النحوية للجملة الوصفية الاشتقاقية وما ينجم عنها من دلالات سياقية في ديوان حسان بن ثابت، ومعرفة مدى ملاءمة الصيغ الصرفية للوظائف النحوية التي تؤديها كما يتجلى في الجملة الوصفية الاشتقاقية بالديوان.

المنهج:

يتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل الجمل الوصفية المستخدمة في ديوان حسان بن ثابت؛ لفهم دورها النحوي والدلالي، وللكشف عن البراعة والمهارة التي اتسمت بها لغة شاعر الرسول في استعمال هذا النوع من التراكيب، ودراسة هذه الجمل ستسلط الضوء على جوانب متنوعة، بما في ذلك تأثيراتها البلاغية والأدبية، وسياق استخدامها في النصوص الأدبية الكلاسيكية.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة الدراسة في أن الجملة الوصفية تُعَدّ مصطلحًا حديثًا لدى النحاة يحتاج إلى مزيد من العمل لبيان ما فيه من وظائف نحوية يمثلها الإسناد داخل هذا النوع، علاوة على الصيغ الصرفية ومدى ملاءمتها للمعاني والدور الوظيفي، وما يترتب عن هذه المعادلة اللغوية من دلالات يحكمها السياق، ولفض هذا الاشتباك

---

(١) حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، تح: عبد مهنا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ٢، ١٩٩٤م.

وترتيبه وتنظيمه اقتضت الحاجة البحثية تخصيص دراسة تتبنى هذا النوع من التراكيب، وتعمل على بيان ما فيه من مظاهر الجمال والدلالات، ولا يتأتى ذلك إلا بالتطبيق على نصوص لها قيمة أدبية وعلمية ونقدية. ومشكلة الدراسة بوصفها السابق تتمخض عن بعض التساؤلات التي يمكن إجمالها على النحو الآتي:

- ما الوظائف النحوية التي يمكن أن تؤديها الجملة الوصفية في رحاب النصوص الأدبية التي تمثل الجانب التداولي من اللغة في أعلى مستوياته؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس مجموعة أسئلة فرعية؛ أهمها:

- كيف يمكن التوفيق بين الصيغة والدلالة المرادة الناجمة عن المعنى الوظيفي في الجملة الوصفية الاشتقاقية؟
- ما الدلالات التي تنبع من السياقات المختلفة لاستعمال الجملة الوصفية في ديوان حسان بن ثابت؟

خطة البحث:

المقدمة.

التمهيد: ويتضمن مطلبين:

المطلبُ الأول: التعريف بالجملة الوصفية، وأنواعها.

المطلب الثاني: المعاني الوظيفية للجملة الوصفية.

المبحث الأول: مناسبة الصيغة للوظيفة، والمعنى، والزمن السياقي.

المبحث الثاني: أَثر عدول الصيغة في الوظيفة والدلالة.

خاتمة: تشتمل على أبرز ما توصلت إليه الدراسةُ من نتائج وتوصياتٍ.

فهرس المصادر والمراجع

التمهيد

المطلبُ الأول

التعريف بالجملة الوصفية وأنواعها:

الجملة الوصفية معروفة في التراث اللغوي باعتبار نحوي تركيبي يدخل في إطار التوابع؛ فهي جملة تابعية تقع بعد النكرات المحضة، وقد استندوا في ذلك إلى كون الجملة نفسها نكرة أو في حكم النكرة[١]؛ وتبعًا للقاعدة التغليبية التي صاغها النحاة التي مفادها: أن الجمل وأشباهها بعد النكرات صفات وبعد المعارف أحوال[٢]؛ ومن ثم فإن مصطلح (الوصفية) هنا يُنظر إليه باعتبار نحوي، والمراد بالوصف: النعت؛ ومن ثم فالمفهوم واضح ومستقر منذ القدم ولم يعتوره أي تطور في المسيرة النحوية إلى وقتنا الحاضر، بيد أن هناك اتجاهًا حادثًا قد استعمل الجملة الوصفية باعتبار صرفي، ونظر إلى مصطلح (الوصفية) من حيث كونه مساويًا لمصطلح (الاشتقاق)، ويريد أصحاب هذا الاتجاه بالجملة الوصفية تلك العملية الإسنادية[٣] التي يكون فيها

---

(١) ينظر: الشاطبي، أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي (٧٩٠ هـ)، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تح: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين وآخرون، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى – مكة المكرمة، ط: ١، ٢٠٠٧م، (٢٥٠/١).

(٢) ينظر: المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس (٢٨٥هـ)، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، الم الكتب – بيروت، (دط)، (دت)، (١٢٥/٤)؛ ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف (٧٦١هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، ط: ٦، ١٩٨٥م، ص ٥٦١.

(٣) يراد بالإسناد ضم كلمة إلى أخرى على وجه يعطي الإفادة التامة التي تتحقق بحسن السكوت عليه. ينظر: الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (١٠٩٤هـ)، الكليات، تح: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، (دط)، (دت)، ص ١٠٠.

المسند وصفًا (مشتقًّا) عاملًا عمل فعله رفعًا ونصبًا بحسب مكان الوصف من التعدي واللزوم، وهذا لا يقدح في كون الوصف (المشتق) مبتدأ برغم أنه من دون خبر؛ لأن مسألة الخبر هذه مسألة صناعية محضة أو بعبارة أخرى هي مسألة تعليمية في الأساس، بيد أن العملية الإسنادية تعتمد على الإفادة التي لا تتوقف على الخبر أو الفاعل، بل مردها دلالي يتعلق بحصول الفائدة[١]؛ ومن ثم فإن ذلك المعمول بعد الوصف قد تحققت به الفائدة؛ سواء أكان على جهة الإخبار أم جهة الفاعلية أو النيابة عن الفاعلية؛ فإن المعمول عليه هو حصول الفائدة التامة التي هي الغاية المرجوة والثمرة المنشودة من وراء التخاطب[٢]؛ ومن ثم يمكن تحديد الجملة الوصفية بكونها الجملة التي تتألف من مبتدأ وصف أو مؤول به كالمنسوب، مسند إلى مرفوعه[٣]، وهي الجملة الوصفية الكبرى، وهناك الجملة الوصفية الصغرى التي يكون فيها الوصف مع معموله حلقة صغرى في إسناد أكبر، وهذا النوع الثاني هو ما أطلق عليه بعض الباحثين مصطلح التركيب الجملي الوصفي[٤]، ولا يُشترط مسألة الاعتماد كونها مختلفا فيها؛ ومن ثم فهي مسألة تعليمية مردها النحو التعليمي وما يكتنفه من

---

(١) بنظر: الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني، القاهرة، ط: ٣، ١٩٩٢م، ص ١٨٩.

(٢) ينظر: حسن، عباس (١٣٩٨هـ)، النحو الوافي، دار المعارف – مصر، ط: ١٥، (دت)، (٤٤٢/١)؛ أيوب، عبد الرحمن محمد، دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح نشر وتوزيع – الكويت، (دط)، (دت)، ص ١٣٧.

(٣) ينظر: أبو المكارم، علي، التراكيب الإسنادية؛ الجمل: الظرفية – الوصفية – الشرطية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٧م، ص ١٣٢ وما بعدها.

(٤) ينظر: صلاح، شعبان، الجملة الوصفية في النحو العربي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٤م، ص ٢٣٨.

مذاهب؛ فقد أجازه الكوفيون والأخفش وابن مالك وإن كان الأخير يرى الاعتماد حسنًا[١]، وعلاوة على ذلك فعند الكلام عن مسوغات الابتداء بالنكرة جعل النحاة منها أن تكون النكرة عاملة، ولم يذكروا مسألة الاعتماد هذه ولم يشترطوها[٢]؛ حتى إنهم قد حاروا في إعراب قوله ـ جل شأنه ـ : {وهو محرم عليكم إخراجهم} [البقرة: ٨٥]؛ حتى أقروا بجواز إعراب (هو) في الآية عمادًا[٣].

وتنقسم هذه الجملة إلى: أصلية قائمة برأسها عندما يكون الوصف في زمان الحال أو الاستقبال وقد اعتمد على النفي أو الاستفهام؛ نحو: (أقارئ الباحث كتاب سيبويه)، وتبعية يتبع فيها الوصف موصوفًا أو مخبَرًا عنه أو صاحب حال؛ نحو: (رأيت معلمًا شارحًا كتاب سيبويه)، أو كان في الزمان الماضي وقد اقترن بأل الموصولة أو لم يقترن ولم يعتمد على شيء شريطة ألا يصل إلى مفعوله فلا خلاف في ذلك؛ إذ الخلاف في رفعه الظاهر؛ وهو المفهوم من كلام سيبويه (١٨٠هـ) واختاره أبو الحسن بن عصفور (٦٦٩ هـ)[٤]، ويلاحَظ على المسند أو الوصف في الجملة الوصفية أنه يجري على سنن الأفعال من حيث التزامه الإفراد وعدم المطابقة العددية مع معمولاته؛ ما يجعلنا ننظر إليه بأنه ـ في حالته التركيبية تلك ـ يقع في

---

(١) ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (٩١١هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر، (دط)، (دت)، (٣٦٢/١).

(٢) ينظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، ص ٦٠٩، ٦١٢؛ الأُشْمُوني، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الشافعي (٩٠٠هـ)، منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٩٩٨م، (١٩٣/١-١٩٤).

(٣) ينظر: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (٧٤٥ هـ)، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تح: د. حسن هنداوي، دار القلم – دمشق، ط: ١، ١٩٩٧م، (٢٨٨/٢).

(٤) ينظر: الأُشْمُوني، منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، (٢١٥/٢) وما بعدها.

طور جديد يكسبه من السمات ما يجعله قسمًا آخر من التركيب لا إلى الجملة الفعلية ينتمي، ولا إلى الاسمية يرتجي[١].

على أن الإسناد بوصفه علاقة معنوية حاكمة في التركيب هي أوسع وأشمل من قصرها على الجملة بصورتها التقليدية المتعارف عليها من: مبتدأ وخبر، أو فعل وفاعل، بل تتسع لتشمل الوصف أو المشتق مع معموله على اختلاف جهة العمل؛ سواء الرفع أم النصب، كما تمتد علاقة الإسناد لتطال بعض طوائف الكلمات كما هو الحال مع أسماء الأفعال ومدخولاتها؛ ومن ثم فإن الإسناد هو الذي يعطي الجملة الوصفية هذا المصطلح بوصفها وحدة تركيبية جديرة بالاعتبار؛ سواء على مستوى التعبير أم التحليل[٢].

لكن شرط الاستقلال هو ما يجعل المركب يرتقي إلى مستوى الجملة لا سيما في مستوى التحليل؛ حتى إن هذا الشرط (الاستقلال) جعلنا نخرج أشباه الجمل من دائرة التحليل في المستوى الأول، بل يظل يدور في فلك المركب الأكبر منه، ويقع عند التحليل في مستوى ثانٍ أو ثالث...إلخ[٣]؛ ومن هنا نجد أن الجملة الوصفية تتمتع بالاستقلال فقط في صورتها التي يعتمد فيها الوصف على النفي أو الاستفهام، وتظل مرتبطة بقيود التبعية لما قبلها من الوحدات التركيبية الأكبر في صورتها الأخرى التي

---

(١) ينظر: حسان، تمام، إعادة وصف اللغة العربية ألسنيًّا، أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية – تونس ١٣-١٩، سلسلة اللسانيات (٤)، ديسمبر ١٩٨١م، ص ١٥٩؛ حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة – الدار البيضاء، (دط)، ١٩٩٤م، ص ١٠٣.

(٢) ينظر: حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة – الدار البيضاء، (دط)، ١٩٩٤م، ص ١٩٤.

(٣) ينظر: الشاوش، محمد، ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة في اللغة العربية، الموقف الأدبي، العدد (١٣٦)، ص ٨٥.

يعتمد فيها الوصف على ذي خبر أو صفة أو حال.

ذكر الدكتور تمام حسان في كتابه: (اللغة العربية معناها ومبناها) هذا النوع من الجمل[١]؛ فخالف بذلك التقسيم التقليدي للجملة العربية إلى اسمية وفعلية، وناقش المسألة عارضًا أدلته مبتغيًا تقرير وجود هذا النوع، على غرار ما ذهب إليه الزمخشري من إثبات الجملتين الظرفية والشرطية، ثم تبع مذهبَ الدكتور تمام بعضُ المحدثين أمثال الدكتور صلاح شعبان في كتابه: (الجملة الوصفية في النحو العربي)، إلا أنه ينبغي محاولة دراسة هذا النوع الذي عرفه القدماء دون أن يفردوا له مصطلحًا، وخصَّه بعض المحدثين بمصطلح ملبس، بتبني رأي يضع هذا النوع أيًّا كان اسمه أو موقف العلماء منه تحت مجهر الدرس اللغوي لاستكشاف أسراره والغوص في بحاره وأغواره، أما المصطلح فبرغم أنه لا مشاحة في الاصطلاح كما هو مقرَّر، فإن الذي أميل إليه أن يتخذ هذا النمط اسم الجملة الاشتقاقية؛ فهذا يعبِّر عنها بدقة ولا يجعلها تلتبس بالجملة الوصفية التابعية التي تكون نعتًا للنكرات المحضة، وعلى ذكر النكرة فمن شروط المبتدأ أن يكون نكرة -كما هو معلوم في ضوابط أركان الجملة الاسمية- بيد أن الجملة الوصف فيمتنع أن يكون الوصف معرفة، بل لا يحتاج إلى أي مسوغ من مسوغات الابتداء بالنكرة؛ فعلى الرغم من كونه مبتدأ، فإنه يؤدي وظيفة المسند أيضًا في هذه الجملة، فيجري عليه ما يجري على المسند، والأصل في هذا الأخير أن يكون نكرة، فإذا ما تركنا الناحية التركيبية وما يكتنفها من أشراط وحدود، ونظرنا إلى الناحية الدلالية المعنوية، فليس بخافٍ أن

(١) ينظر: حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٨٨، ٩٠.

ذلك الوصف حينئذ بمنزلة الفعل، وهذا الأخير نكرة في نفسه[١].

وبرغم إقرارنا بحداثة هذا الاتجاه الوظيفي الذي بدأه الدكتور تمام، وتبعه بعض المحدثين[٢]، الذي أثبت هذا النوع من الجمل باعتبار وظيفي أكثر منه تركيبيًّا، فإننا لا نستطيع أن نتجاهل أن هناك أصداءً قديمة لهذا الاتجاه؛ فمن المعلوم أن الجملة لم تكن ذات تمايز أو وضوح من حيث الحد ولا الرسم ولا الوظيفة مدة زمنية طويلة؛ حتى إنهم لم يفرقوا بينها وبين الكلام، وظل الحال على هذا المنوال حتى وصلت المسيرة التاريخية بالجملة العربية عند بعض المتأخرين أمثال الرضي الاستراباذي (المتوفى: ٦٨٦هـ) وابن مالك (المتوفى: ٦٧٢هـ) وابن هشام الأنصاري (المتوفى: ٧٦١هـ) الذين اتفقت آراؤهم على أن من أنواع الجمل، الجملة الاشتقاقية ذات الإسناد العاملي الوصفي؛ كما هو الحال عندما يكون المسند اسم فاعل أو مفعولا أو صفة مشبهة مما لا يكون الإسناد فيه قائمًا برأسه مقصودًا لذاته؛ وأن بذلك يمكن التفريق بين الجملة والكلام؛ فكل كلام جملة ولا ينعكس[٣].

---

(١) ينظر: أبو سعيد السيرافي، الحسن بن عبد الله بن المرزبان (٣٦٨ هـ)، شرح كتاب سيبويه، تـح: أحمـد حسـن مهـدلي، علـي سـيد علـي، دار الكتـب العلميـة – بيـروت، ط: ١، ٢٠٠٨م، (٦٦/٢).

(٢) ينظر: حماسة، محمد، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، مطبوعات جامعة الكويت – الكويت، (دط)، ١٩٨٤م، ص ٨٤ وما بعدها.

(٣) ينظر: الرضي الاستراباذي، محمد بن الحسن نجم الدين (٦٨٦هـ): شرح الرضي على الكافية، تح: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس – بنغازي، ط: ٢، ١٩٩٦م، (٣٣/١)؛ ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، ص ٤٩٠.

ومن خلال ما سبق بيانه يمكن القول بأن الجملة الوصفية تنقسم إلى نوعين:

أحدهما: الجملة الوصفية التابعية:

وهي الجملة التي تقع بعد النكرات المحضة، والوصفية فيها تعني الصفة؛ أي: النعت، وهذا القسم خارج عن إطار الدراسة الحالية، لا يتقاطع معها إلا باعتبار الاشتراك في المصطلح، لكنها غير مقصودة بالدراسة في هذا المقام.

ثانيهما: الجملة الوصفية الاشتقاقية:

وهي الجملة التي يكون فيها المسند أحد الأسماء العاملة عمل الفعل رفعًا ونصبًا؛ وهذا يشمل أسماء: الفاعلين، والمفعولين، والتفضيل، وصفات المبالغة والمشبهة؛ وهذا هو النوع الذي سيكون محل الدراسة، وسنعمل على بيان ما فيه من وظائف ودلالات من خلال التطبيق على ديوان حسان بن ثابت.

على أن هذا النوع الاشتقاقي نفسه ينقسم أيضًا إلى قسمين(١):

أحدهما: الجملة الوصفية الاشتقاقية القائمة برأسها (الأصلية)؛ كما في قوله تعالى: {أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ} [مريم: ٤٦].

ثانيهما: الجملة الوصفية الاشتقاقية التابعية (الصغرى)(٢)؛ أي: غير المستقلة ولا القائمة برأسها، بل هي متعلقة في الإفادة بما قبلها؛ سواء أكان صاحب خبر أو صاحب حال أو موصوف؛ نحو: رأيت زيدًا (قارئًا الصحيفة)؛ فقولنا: قارئا الصحيفة

---

(١) ينظر: صلاح، شعبان، الجملة الوصفية في النحو العربي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٤م، ص ١٦٥ وما بعدها.

(٢) المراد بالتابعية هنا ليست التابعية المرادة في باب التوابع النحوي، بل المقصود بالتابعية عدم الاستقلال؛ أي: هو إسناد ضمن إسناد أكبر.

من الجملة الوصفية الاشتقاقية التابعية التي تتوقف فيها الفائدة التامة على ما قبلها، وقد اكتسبت المعنى الجملة من خلال علاقة الإسناد التي نشأت بين الوصف ومعموله؛ فهي تشبه الجملة الصغرى التي تحتويها جملة أكبر منها؛ فتقدير الكلام هنا: رأيت زيدًا يقرأ الصحيفة(١).

(١) ذكر الرضي ما مضمونه أن من الجملة ما الإسناد فيه ليس مقصودًا لذاته؛ أي: ليس قائما برأسه، وأن هذا الفصيل من الإسناد يدخل في حيزه الجملة الوصفية التابعية. ينظر: الرضي الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية، (٣٢/١)؛ صلاح، شعبان، الجملة الوصفية في النحو العربي، ص٢٥.

المطلب الثاني

المعاني الوظيفية للجملة الوصفية:

إن الجملة الوصفية تكتسب معانيها الوظيفية من خلال التعليق؛ وهو عبارة عن إنشاء العلائق بين المعاني النحوية عن طريق القرائن؛ سواء أكانت لفظية أم معنوية(١)، ولما كانت الجملة الوصفية مؤلفة من مسند من الأسماء العاملة عمل الفعل على جهة الاشتقاق بمعناه الخاص المراد به الحدث وصاحبه(٢)، فإن ذلك يقتضي الوقوف مع الصيغة الصرفية من ناحية، والوظيفة النحوية من جهة أخرى؛ فبذلك تتحقق الوظائف النحوية للجملة الوصفية، أما الدلالة فتحددها قرينة السياق التي هي كبرى القرائن النحوية، كما أن السياق يؤدي دورًا مهمًّا جدًّا في تحديد المعنى الوظيفي للصيغة عندما تتعدد تلك المعاني وتكون الصيغة صالحة لأدائها(٣)، على أنه من الأهمية بمكان أن تكون دراسة المعاني الوظيفية للجمل الوصفية منطلقة من المعنى الوظيفي والعلاقات بين الأبواب التي تمثلها الكلمات في أثناء النصوص، لا أن تنحصر المسألة في العلاقات بين الكلمات(٤)، كما علينا ألا نغفل المعنى المعجمي للكلمة الذي يتمثل في الحدث؛ وهو ما يدل عليه ذلك المسند الاشتقاقي من خلال مادته، في حين يدل على جهة ملابسته للحدث من خلال صيغته

---

(١) ينظر: حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٨٨.

(٢) ينظر: الرضي الاستراباذي، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، (٢/٢٨٦-٢٨٧).

(٣) ينظر: حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو – مصر، ط: ١، ١٩٥٥م، ص ١٧٤.

(٤) ينظر: حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٨٨-١٨٩.

التي تحدد كونها من أوقع الحدث أم من وقع عليه الحدث، وكونه يفيد الحدث على جهة اللزوم أو الانفكاك، وكونه يفيد الحدث على جهة المبالغة والكثرة أم التفضيل[١].

وعلاوة على ذلك فإن تحديد الزمن السياقي للجملة الوصفية مسألة لا غنى عنها عند التصدي للتحليل؛ وهو زمن تنم عنه الصيغة (والمراد بها الصيغة الصرفية التي اتخذها المسند الاشتقاقي) في الجملة الوصفية، وتسم في بلورته قرائن متنوعة بين اللفظي والحالي مع ما يُفهم من سياق الكلام، وهذا الزمن السياقي هو نفسه الزمن النحوي أو يمكن التعبير عنه بالزمن التداولي أو الاستعمالي الذي يمثله التركيب بشكل أوسع من حدود الزمن الصرفي الذي ينعكس من خلال الصيغة الصرفية بشكل مستقل بعيدة عن التركيب والطابع التداولي للنص، ولتوضيح ذلك فإن الصيغة تشير بهيئتها وما فيها من أصول وزوائد إلى زمن معين كما هو الحال في الدلالة على الماضي من خلال (فَعَلَ)، والحاضر والاستقبال عن طريق (يفعل) أو (افعل) أو (سيفعل)؛ فالزمن الصرفي هنا معنى وظيفي تدل عليه الصيغة كما تدل على معانٍ وظيفية أخرى؛ نحو: الصيرورة في (استفعل) أو الطلب، أو المطاوعة في (انفعل)، والثبوت والرسوخ في (فَعُل) المضموم العين؛ ومن ثم فإن الفرق بين الزمن النحوي السياقي والزمن الصرفي أن الأول يحدده السياق وما يكتنفه من قرائن مقالية أو مقامية، في حين يحدد الثاني الصيغة الصرفية للكلمة حال استقلالها بعيدة عن التراكيب والنصوص[٢].

يمكن القول بأن المعنى الوظيفي للجملة الوصفية يتمثل في المعنى الذي تكتسبه الجملة الوصفية من خلال تفاعلها التركيبي مع بقية الجمل داخل النص وما

---

(١) ينظر: ابن جني أبو الفتح عثمان الموصلي (٣٩٢هـ)، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة، ط: ٤، (دت)، (١٠٣/٣).

(٢) ينظر: حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢٤٠.

ينشأ بينها من علائق نحوية؛ فالجملة الوصفية وحدها خارج النص لا تعدو كونها جملة ابتدائية لا تكتسب من المعاني الوظيفية شيئًا، شأنها في ذلك شأن الكلمة المستقبلة قبل اقتطاعها من المعجم ووضعها في تركيب وسياق(١)؛ ومن ثم يتجلى دور نحو النص في تحديد المعاني الوظيفية للجملة الوصفية، ويؤدي السياق دوره الأهم في إبراز الدلالات المصاحبة؛ حتى يمكن القول بأن هذا النظم أو التوليف الذي يُعتبَر فيه حال المنظوم بعضه من بعض تراعى فيه العلائق والمعاني النحوية بين الجمل كما كان الحال بين المفردات على مستوى نحو الجملة(٢)، ويمكن تعريف الوظيفة النحوية للجمل الوصفية بأنها: الحصيلة النهائية للتماسك النصي في السياق الذي ينهض بعبء الترابط بين الجمل؛ لأن قيام كل جملة بوظيفتها النحوية بحسب ما يقتضيه النظام اللغوي ينجم عنه التماسك بين الجمل داخل السياق في النص؛ فهي معاني الجملة الوصفية داخل السياق النصي، وتنبثق تلك المعاني من الوظائف النحوية الجزئية التي تمثلها دلالة المفعول على المفعولية، والحال على الحالية، والتمييز على التفسير؛ فنجد أن المعاني النحوية المتحصلة تمثل المعاني الوظيفية العامة؛ مثل: الدلالة على الخبر والإنشاء، والإثبات والنفي والتأكيد، والطلب بأقسامه المختلفة؛ كالاستفهام، والأمر، والنهي...الخ (٣).

(١) ينظر: النجار، لطيفة إبراهيم، دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها، دار البشير – عمّان، ط: ١، ١٩٩٤م، ص ١٣٩–١٤٠.

(٢) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص ٤٩.

(٣) ينظر: الساقي، فاضل مصطفى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي – القاهرة، (دط)، ١٩٧٧م، ص ٢٠٣، ٢٠٩ وما بعدها.

المبحث الأول

مناسبة الصيغة للوظيفة، والمعنى، والزمن السياقي

إن الجملة الوصفية تعتمد في صياغتها وتركيبها على مجموعة من المشتقات الخاصة التي تعمل عمل الفعل وتُعرف بالمشتقات الوصفية، وتدل على الحدث والذات الملابسة له على جهة خاصة من الدلالة؛ فاسم الفاعل صفة مأخوذة من مصدر الفعل المتصرف المبني لما يسمى فاعله للدلالة على من وقع منه الفعل حدوثًا لا ثبوتًا، بزنة فاعل من الثلاثي، وبزنة المضارع من غير الثلاثي مع إبدال المضارع ميما مضمومة وكسر ما قبل الآخر(١)، أما صيغ المبالغة فهي صفات محولة عن اسم الفاعل للدلالة على التكثير في معناه بالخروج عن صيغته إلى صيغ أخرى؛ مثل: (فعَّال)، (مِفْعال)، (فَعُول)(٢)، أما اسم المفعول فهو صفة مأخوذة من مصدر الفعل المتصرف المبني لما لم يُسَمَّ فاعله تدل على من وقع عليه الفعل حدوثًا لا ثبوتًا، بزنة مفعول من الثلاثي، وبزنة المضارع من غير الثلاثي مع المضارعة ميمًا مضمومة وفتح ما قبل الآخر(٣)، أما الصفة المشبهة فهي صفة مشتقة من مصدر الفعل الثلاثي المجرد في غالب الأحوال للدلالة على الحدث ثبوتًا منسوبًا إلى موصوفها، وتؤخذ من الفعل اللازم، فإن جاءت من المتعدي، فإنما يراد بها حينئذ مطلق الاتصاف بالحدث، لا إيقاعه وتعديه بالمفعول، ومن أوزانها: فعول، فعيل،

---

(١) ينظر: الصبان، أبو العرفان محمد بن علي الشافعي (١٢٠٦هـ)، حاشية على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٩٩٧م، (٤٧٦/٢).

(٢) ينظر: الرضي الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية، (٤٢١/٣).

(٣) ينظر: السابق، (٤٢٧/٣).

فَعَل، فَعَال، فَعْل، أَفْعَل[١]، أما اسم التفضيل فهو صفة مأخوذة من المصدر كيما تدل على تفوق الموصوف في أمر ما على غيره، ويرى النحويون أنه لا يرفع الظاهر على الأصح إلا في مسألة الكحل الشهيرة؛ فيقال: ما قرأت كتابًا أكثر في مادته المعلومات منه في مادة كتاب شيخ النحاة سيبويه، وله وزن واحد (أَفْعَل فُعْلى)[٢]، إن هذه هي المشتقات الوصفية وصيغها العامة التي تجيء للدلالة على المعنى الوظيفي المنوط بكل منها، وسيتناول البحث في الصفحات الآتية مدى مناسبة هذه الصيغ للوظيفة والمعنى والزمن السياقي في ديوان حسان بن ثابت.

(١) ينظر: ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (٧٦٩هـ)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، ط: ٢٠، ١٩٨٠م، (١٤١/٣).

(٢) ينظر: الشاطبي، المقاصد الشافية، (٥٩٧/٤-٥٩٨).

المطلب الأول

مناسبة الصيغة للوظيفة والمعنى:

يمثل ديوان أبي الوليد حسان بن ثابت –رضي الله عنه– مادة خصبة للجملة الوصفية التي كان لها حضورها المتميز في الديوان، علاوة على البراعة الكبرى في توظيفها التوظيف الأمثل الذي يتناسب والمعاني الوظيفية التي يبتغيها الشاعر ويرنو إليها، وفي السطور الآتية سنلقي الضوء على نماذجَ مختارة تتجلى فيها مدى مناسبة الصيغ الصرفية للمبتدأ الوصفي الذي اشتملت عليه الجمل الوصفية لكل من الوظيفة والمعنى.

يقول أبو الوليد حسان بن ثابت [الطويل][(١)]:

مَتَارِيكُ أَذْنَابِ الحُقُوقِ إِذَا الْتَوَتْ أَخَذْنَا الفُرُوعَ وَاجْتَبَيْنَا أُصُولَهَا
مَقَاوِيلُ بِالمَعْرُوفِ خُرْسٌ عَنِ الخَنَا كِرَامٌ مَعَاطٍ لِلْعَشِيرَةِ سُؤْلَهَا

يتحدث أبو الوليد –رضي الله عنه– في البيتين السابقين عن أخلاقه وقوته وأنهم أناس يتركون ما لهم من حقوق إذا تعذرت وتعسرت عليهم، فلا يتناولونها من مآخرها، بل يجتنون أصولها، وأنهم قوم كثيرو القول بالمعروف، لا ينطقون بالفحش ولا يتفحشون في القول، فهم أعفة وكرماء يجودون على العشيرة بكل ما تتمناه[(٢)].

وقوله: (متاريك) جمع مِتْرَاك صيغة مبالغة على وزن (مِفْعَال)، وهي مبتدأ مضاف

---

(١) حسان بن ثابت، الديوان، ص ١٩٧.

(٢) ينظر: البرقوقي، عبد الرحمن، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط: ١، ١٩٢٩م، ص ٣٣٥-٣٣٦.

إلى مفعوله (أذناب)، والفاعل ضمير مستتر تقديره: (متاريك نحن أذنابَ)، وقد سد الفاعل المقدر مسد الخبر، وقد تحققت الفائدة بقرائن حالية ولفظية، أما القرائن الحالية فتتمثل في سياق فخر الشاعر بمناقب قومه، أما القرائن اللفظية فحديثه عن قومه بقوله: (أخذنا) فـ(نا) الفاعلين في (أخذنا) تشير إلى الضمير المستتر في (متاريك)، وما قيل في (متاريك) يقال في (مقاويل).

هنا جاءت الجملة الوصفية متمثلة في صيغة المبالغة (متاريك – مقاويل) وفاعلها المستتر (نحن) إذا أغفلنا مسألة الاعتماد، أو يمكن القول بأنها جملة وصفية صغرى وقع فيها الوصف خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره: (نحن متاريك... نحن مقاويل)، ومتعلقها؛ سواء المفعول (أذناب) أم المجرور (المعروف) كيما تؤدي وظيفة دلالية تتمثل في الافتخار بمناقب القوم وخصالهم المحمودة، وكانت صيغة المبالغة أدل على ذلك وأنسب للمعنى المراد الذي طرقه الشاعر، والمتمثل في كثرة ترك حقوقهم والحصول على مبتغاهم منها، كما أنهم كثيرو القول بالمعروف؛ وهنا يتجلى بوضوح مناسبة الصيغة التي اشتملت عليها الجملة الوصفية (مِفْعَال) للمعنى الوظيفي (تأكيد) فضل الأنصار ومكانتهم؛ وهو معنى نهائي متحصل من المعني المعجمي والصرفي والنحوي.

وقد أحسن الشاعر كثيرًا في اختيار صيغة جمع التكسير (مفاعيل) في قوله: (متاريك– مقاويل)؛ لأنها تدل بصيغتها على معنى وظيفي يتمثل في الدلالة "الترك" و"القول" ومن اتصف به مع الكثرة المفرطة الحدث؛ ما يعني أنهم قوم كثيرون وليسوا قلة بين الأقوام؛ ما يشير إلى قوتهم وبأسهم، وعلاوة على ذلك فإن هذه الصيغة تشير إلى كثرة تكرار الحدث؛ فهم كثيرو الترك لحقوقهم الملتوية في حين ينالون جناها، وكثيرو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ولا شك أن هذا أنسب للمعنى المراد، وأوفق بالفخر، علاوة على ما في هذه الصيغة (مفعال – مفاعيل) من المناسبة للوظيفية المتمثلة في المبالغة في الحدث وتكراره؛ وهذا مناسب للفخر

والمدح.

أما مجيء الوصف جمعًا مكسَّرًا في قوله: (متاريك) و(مقاويل)، فلا يعترض على ذلك معترض بأن التكسير يبعد الوصف عن مشابهة الفعل، وحينئذ لا يكون عاملًا؛ لأن جمع التكسير في رأيي قد جرت معاملته معاملة المفرد في بعض التراكيب الفصيحة؛ كما في قولنا: (الأشجار أثمرت)، و(المحاصيل كثرت)؛ حتى صح وقوع الحال جمعًا مكسرًا كما في قوله ـ عز من قائل ـ : {خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ} [القمر: ٣][(١)].

***

يقول أبو الوليد [الكامل][(٢)]:

نَحْنُ الخِيَارُ مِنَ البَرِيَّةِ كُلِّهَا وَنِظَامُهَا وَزِمَامُ كُلِّ زِمَامِ
الخَائِضُونَ غَمَرَاتِ كُلِّ مَنِيَّةٍ وَالضَّامِنُونَ حَوَادِثَ الأَيَّامِ
وَالمُبْرِمُونَ قُوَى الأُمُورِ بِعَزْمِهِمْ وَالنَّاقِضُونَ مَرَائِرَ الأَقْوَامِ

يتحدث أبو الوليد في الأبيات السابقة عن عز الإسلام وقوته ومنعته بالأنصار الذين أكرمهم الله ومنّ عليهم بأن جعلهم أنصار الإسلام، ورأى الشاعر أن الأنصار هم صفوة الخلق، وأنهم النظام لهذا الكون، وأنهم قوم شجعان أبطال فوارس يخوضون غمار الموت في كل الحروب لنصرة الدين، والذين يصونون بيضة الدين

(١) ينظر: أبو جعفر النَّحَّاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس (٣٣٨هـ)، إعراب القرآن، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤٢١هـ، (١٩٣/٤).
(٢) حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، ص ٢٣٠.

عن حوادث الدهر التي لا تنقضي، ويحكمون تدبير الأمور بعزيمة لا تلين، ويقطعون ما أحكمه المبطلون بمكائدهم(١).

ومن الناحية التركيبية، جاء التركيب الجملي الوصفي متمثلًا في قوله: (الخَائِضُونَ غَمَرَاتِ كُلِّ مَنِيَّةٍ – الضَّامِنُونَ حَوَادِثَ الأَيَّامِ – المُبْرِمُونَ قُوَى الأُمُورِ – النَّاقِضُونَ مَرَائِرَ...) من خلال أربع تركيبات جاء المسند فيها بصيغة اسم الفاعل؛ وهي: (الخائض – الضامن – الناقض = الفاعل) وهي صيغة فاعل من الثلاثي (خاض – ضمن – نقض)، وصيغة واحدة من غير الثلاثي (المبرم = المفعل) اسم فاعل من غير الثلاثي (أبرم)، ومن الناحية المعجمية فهناك تناسب بين أسماء الفاعلين ومعمولاتها؛ وهو ما يُعرَف من الناحية البلاغية بمراعاة النظير؛ إذ يستدعي الخوض الغمرات، كما تستدعي الحوادث الضمان، وقوى الأمور تتناسب مع الإبرام، وكذلك المرائر (الحبال المحكمة الفتل) يناسبها النقض.

وقد دلت أسماء الفاعلين على معنى وظيفي يتمثل في الدلالة على الحدث (الخوض – الضمان – النقض – الإبرام) مع صاحب الحدث وهو أولئك القوم الذين يمدحهم الشاعر مع الدلالة على التجدد والحدوث الذي يأتي بشكل متتابع يقترب من الثبوت والاستمرار كأنه سجية من سجايا القوم، وعلى الرغم من أن الشاعر قد أتى بأسماء الفاعلين مجموعة على حد المثنى، وهو جمع كما قيل من قبيل جموع القلة، فإن اقترانه بأل الجنسية قد صرفته إلى الكثرة، علاوة على أن قرينة السياق في مقام الفخر تُعَدّ قرينة صارفة للصيغة الصرفية عما هو متعارف عليه إلى ما يناسب المعنى(٢)؛ كما في قول حسان أيضًا [الطويل](١):

---

(١) ينظر: البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، ص ٣٨٩-٣٩٠.

(٢) ينظر: سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب (١٨٠هـ)، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط: ٣، ١٩٨٨م، (٥٧٨/٣).

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

على أن التحقيق يقضي بأن الغالب استعمال جموع التصحيح للقلة، بيد أن هناك قرائن تصرفها إلى الكثرة؛ مثل: اقترانها بـ(أل) الجنسية الدالة على الاستغراق كما هو الحال في البيت، وكما في قوله ـ عز من قائل ـ : {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ} [الأحزاب: ٣٥]، كما أن جموع القلة قد تنصرف إلى الكثرة مع القرائن أيضًا؛ ومن تلك القرائن الإضافة إلى ما يدل على الكثرة؛ كما في قول حسان (أسيافنا)؛ فأسياف جمع قلة، لكنه أضافه إلى قومه، وهم كثيرون، وكما في قوله ـ تعالى ـ : {تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ} [التوبة: ٩٢][٢].

والملاحظ أن الشاعر جعل مفاعيل أسماء الفاعلين بصيغة الجمع (غمرات – حوادث– قوى – مرائر)؛ فحقق بذلك أعلى درجات المناسبة بين وقوع الحدث مرات متتالية من خلال صيغة اسم الفاعل، ووقع الحدث على مفاعيل بصيغة الجمع تناسب أن هؤلاء القوم (الأنصار) كان يكفيهم أن يتصدوا للتحدي مرة واحدة كي يزول، ثم يتجدد فيواجهونه دون فتور أو تبرم أو تثاقل، فلو أفرد صيغة المفاعيل، لدل ذلك على ضعف قومه وأن الأمر الواحد يحتاج منهم إلى مزاولة ومعالجة طويلة كيما ينجلي.

إن التركيب الجملي الوصفي هنا الذي تكرر في الأبيات يشير بشكل واضح إلى تناسب تام بين: الصيغة، والوظيفة، والدلالة اللائي تضافرن جميعًا في سياق المعنى الوظيفي العام المتحصل من تضافرهن وهو تأكيد فضل الأنصار وشجاعتهم.

←←←

(١) حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، ص ٢١٩.

(٢) ينظر: ابن هشام الأنصاري، حاشيتان على ألفية ابن مالك، (٢/١٣٧٠-١٣٧١).

يقول أبو الوليد [الطويل][١]:

ضَرُوبٍ بِأَعْجَازِ القِدَاحِ إِذَا شَتَا سَرِيعٍ إِلَى دَاعِي الهِيَاجِ مُصَمِّمِ

يقول أبو الوليد في هذا السياق: إننا قوم حين يقصدنا الناس للعطاء، نجد حول ديارنا القوم وقد تحلقوا في مجالس ترى فيها كل شيخ مهاب عظيم الشأن جاءنا يستجدي برغم كونه شيخًا كريمًا حافظًا لسمعته وعرضه يصون نفسه المباركة عن كل ما يعيبها من بيت رفيع المقام، وهو صاحب ميسر وكان الميسر حينئذ من الخصال الكريمة والأفعال المحمودة، وهو بطل سريع إلى خوض المعارك لا يتراجع ولا يستسلم، وبرغم ذلك لا يجد حرجًا في أن يطلب منا المساعدة والقِرَى والعطاء؛ كأننا صرنا أعلامًا على ذلك لا يجد أحد من الناس مهما بلغ شأنه حرجًا في طلب عوننا[٢].

من الناحية التركيبية لدينا تركيب جملي وصفي يتمثل في قوله: (ضروب بأعجاز القداح)، وكلمة (ضروب) وقعت نعتًا لقوله فيما تقدم (كهل) في قوله:

وَنَلْقَى لَدَى أَبْيَاتِنَا حِينَ نُجْتَدَى مَجَالِسَ فِيهَا كُلُّ كَهْلٍ مُعَمَّمِ

أي: كهل ضروب... و(ضروب) صيغة مبالغة بزنة فعول من الفعل (ضرب)؛ أي: كثير الضرب للقداح، وقد ذكرت أن ذلك كان ممدوحًا -أي: الميسر- في ذلك الزمان، وقد اقترن حرف الجر الزائد (الباء) بمفعول صيغة المبالغة (أعجاز)، أو الباء تفيد الاستعانة والمفعول محذوف؛ والتقدير: (ضروب الكنانة بأعجاز القداح)،

---

(١) حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، ص٢٣٥.

(٢) ينظر: البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، ص٣٩٦.

وعلى كل فالجار والمجرور متعلق بضروب، وتفيد الصيغة كثرة الضرب والمقامرة؛ ما يعني أنه رجل ثري لا يعبأ بالمال ولا يكترث بفقده؛ فكان قوله: (ضروب بأعجاز القداح) كناية عن الثراء والكرم من خلال تركيب متلازم من الناحية المعجمية بينه ما يُعرَف بمراعاة النظير، ولما أراد الشاعر التفخيم والتهويل في شأن ذلك الشيخ المعمم، استعمل معه صيغة المبالغة التي دلت على معنى وظيفي يتمثل في الدلالة على الحدث (الضرب) مع من اتصف به أو قام به وهو ذلك الكهل المذكور سابقًا، علاوة على ما تدل عليه من كثرة وقوع الحدث؛ تلك الكثرة التي تعني المقامرة وعدم الحرص على المال أو الاكتراث بشأنه.

استعان الشاعر بهذا التركيب الجملي الوصفي كيما يدل بصيغته الصرفية ومعناه المعجمي على المعنى الوظيفي العام المتحصل من تضافر هذين المعنيين؛ وهو تأكيد علو مكانة هذا الشيخ المعمم وكرم أخلاقه ونبله في سياق مدح الشاعر قومه وافتخاره بهم؛ حتى إن كل كريم نبيل يخضع لهم ولا يجد حرجًا في ذلك ولا بأسًا.

المطلب الثاني

مناسبة الصيغة للزمن السياقي

بعد هذا التطواف مع الصيغة والوظيفة والدلالة، كان لزامًا التعريج على الصيغة التي تمثل المسند في التراكيب الجملية الوصفية وبيان مدى مناسبتها للزمن السياقي، على أنه من الأهمية بمكان توضيح أن هناك نوعين من الزمن اللغوي، الزمن الأول هو الزمن الصرفي؛ وذلك زمن تمثله الصيغة الصرفية في أصل الوضع؛ أي: قبل انضمامها واستعمالها في التراكيب المختلفة والنصوص من وجهة تداولية استعمالية، وهناك الزمن النحوي السياقي، وهو زمن تحدده القرائن التي تكتنف السياق وتقف شاخصة حول التعبيرات عند التداول؛ ومن هذا المنطلق فإن التعويل يكون على الزمن النحوي السياقي؛ كونه زمنًا مرتبطًا بالاستعمال، ومرهونًا بما يوجهه من قرائن لفظية ومعنوية، وهو الذي يرمي إليه الكاتب من: شاعر، وناثر، ويرصد من القرائن ما يرفع عنه اللبث ويميط عنه اللثام كيما ينجلي الغمام ويزول الإبهام.

يقول أبو الوليد [الكامل][1]:

كَمْ فِيهِمُ مِنْ مَاجِدٍ ذِي سَوْرَةٍ بَطَلٍ بِمَكْرَهَةِ المَكَانِ المُحْرَجِ
وَمُسَوَّدٍ يُعْطِي الجَزِيلَ بِكَفِّهِ حَمَّالِ أَثْقَالِ الدِّيَاتِ مُتَوَّجِ

يمتدح الشاعر الأنصار وبلاءهم العظيم يوم بدر؛ فيصفهم بأنك تستطيع أن ترى فيهم الكثير من أصحاب المجد كرماء الحسب، بلغوا الغاية في طيب الأصل، تجدهم

(١) حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، ص ٥٠.

أبطالًا في كل ضيق، سادة أفاضل من ذوي العمائم، يعطون الكثير، ويتحملون حقوق القتلى من أموالهم[١].

جاء في البيت الثاني التركيب الجملي الوصفي المتمثل في قوله: (حمَّال أثقال الديات)، وهو تركيب جملي وصفي من باب الجملة الوصفية الصغرى التي اشتمل عليها تركيب أكبر؛ فحمال نعت للمبتدأ (ماجد) مجرور على اللفظ؛ إذ جاء المبتدأ (ماجد) مجرورًا بـ(من) الزائدة بعد (كم) الخبرية، ثم أضيف الوصف (حمال) إلى مفعوله (أثقال)، والأصل: (حمالٍ أثقالِ الديات)، بيد أن الشاعر اختار وجه الإضافة برغم جواز الوجهين.

إن صيغة المسند الوصفي (حمّال) هي صيغة مبالغة بزنة (فعّال)، من الفعل (حمل) الدال على المشقة بمادته المعجمية، وعلى الجلد والصبر، دلت الصيغة على الحدث (الحَمْل) وزيادة فيه وتكثير من خلال الصيغة، ودلت على من اتصف بذلك من الذات المشار إليها في الكلام السابق، ومن الناحية الزمانية لا اشتراط فيها للدلالة على الحال والاستقبال كما هو الحال في اسم الفاعل، بل هي للإطلاق المفيد للاستمرار[٢]، وقد صاحبتها قرينة لفظية تؤكد الاستمرار تتمثل في الإضافة؛ كونها أضيفت إلى معمولها (أثقال)، ولم تأتِ منونة وما بعدها منصوبًا لعدم الرغبة في الدلالة على المزاولة والمعالجة؛ كما في قولنا: (رأيت رجلًا طالعًا جبلًا؛ أي: يصعد الآن)، بخلاف (رأيت رجلا طالع جبل)؛ أي: ثابت له طلوع الجبل كانه من عادته وديدنه؛ وذلك لمراعاة جانب العمل عند النصب، في حين دلت الإضافة على الثبوت

(١) ينظر: البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، ص ٧٠.
(٢) ينظر: الرضي الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية، (٤٢٣/٣).

والرسوخ لا المزاولة والمعالجة[١]؛ ومن ثم كانت الإضافة مناسبة جدًّا لإضفاء الاستمرار من الناحية الزمنية على هذا التركيب الجملي الوصفي؛ وهذا لا شك في غاية الحسن والمناسبة بين الصيغة الصرفية والمعنى الوظيفي للجملة الوصفية التي أفادت من خلال مفعول الصيغة المضاف استمرار اتصاف هؤلاء القوم بحمل أثقال حقوق المقتولين حقنًا للدماء؛ وهذا كله يتناسب مع المعنى الوظيفي العام وهو تأكيد علو مكانة أولئك السادة الأماجد؛ وهو –أي: التوكيد– معنى وظيفي عام متحصل من تضافر المعنى الوظيفي للصيغة (فعَّال) المتمثل في الدلالة على الحدث (الحمل) ومن قام به (الماجد) علاوة على الكثرة في الحدث وتكراره، والمعنى المعجمي (الدلالة على التعب والمشقة) والمعنى الوظيفي للتركيب الجملي الوصفي (تكرار كثرة حمل الديات في الزمن الحاضر)؛ فاتسقت كل أولئك المعاني مع الزمن النحوي السياقي الذي تجاوز دلالة الصيغة على الحال والاستقبال إلى ما يفيد الاستمرار بمعونة القرائن المقالية والمقامية؛ كيما يكون أبلغ في المدح وأوقع في بلوغ الغاية المنشودة من التركيب.

يقول أبو الوليد [الكامل][٢]:

لله دَرُّ عِصَابَةٍ نَادَمْتُهُمْ يَوْمًا بِجِلَّقَ في الزَّمَانِ الأَوَّلِ

. . . . . .

بِيضُ الوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ شُمُّ الأُنُوفِ مِنَ الطِّرَازِ الأَوَّلِ

---

(١) ينظر: سيبويه، الكتاب، (٤٢٨/١)؛ الرضي الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية، (٢٢٤/٢)؛ ابن قاسم العبادي، أحمد بن قاسم الصباغ العبادي (٩٩٢هـ)، رسالة في اسم الفاعل المراد به الاستمرار في جميع الأزمنة، تح: د. محمد حسن عواد، دار الفرقان – عمّان، ط: ١، ١٩٨٣م، ص ٧٦.

(٢) حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، ص ١٨٤.

يتحدث أبو الوليد في اليتين السابقين عن قوم جلس معهم حول الشراب بمدينة دمشق في مبتدأ أمره وحداثة سنه، كانوا نعم الأصحاب وخير الأخلاء، وجوههم بيضاء ناعمة تعرف فيها نضرة النعيم والأصل الطيب، لهم شرف معروف وسيادة جعلتهم معتزين بأنفسهم، وهم من أحسن الناس خلقة وهيئة[١].

أما من الناحية التركيبة فلدينا في البيت الثاني تركيب جملي وصفي يتمثل في قوله: (بيض الوجوه – كريمة أحسابهم)، فبيض خبر لمبتدأ محذوف مفهوم من سياق الكلام؛ والتقدير: (هم بيض الوجوه)، وأضاف الخبر الوصفي (بيض) إلى فاعله؛ والتقدير: (بيض وجوههم)، أما قوله: (كريمة أحسابهم)، فكريمة خبر ثان للمبتدأ المحذوف؛ والتقدير: (هم كريمة أحسابهم)، و(أحسابهم) فاعل للصفة المشبهة (كريمة)؛ ومن ثم فلدينا هنا تركيبان جمليان وصفيان، تمثل الصفة المشبهة فيهما المسند، وقد أضيفت لفاعلها في التركيب الأول، في حين انفصلت عنه في الثاني فارتفع على ما هو مستحق له.

أما من الناحية الصرفية، فلدينا المسند في هذين التركيبين (بيض) (كريمة)، الأول منهما صفة مشبهة بزنة (أفعل – فعلاء)، وهي صفة تدل على الحدث (الاتصاف بلون البياض)، وصاحب الصفة (تلك العصابة)، مع دلالة على الثبوت وعدم الحدوث، علاوة على ما في الصفة المشبهة من دلالة على الاستمرار في جميع الأزمنة[٢]، أما الثاني (كريمة) فهو صفة مشبهة بزنة (فعيل) بمعنى (فاعل)؛ وهو

(١) ينظر: البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، ص ٣٠٨-٣١٠.

(٢) ينظر: الرضي الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية، (٤٣١/٣).

بهذا المعنى يجري على موصوفه تذكيرًا وتأنيثًا بالمطابقة[١]، ومن المعلوم جواز تذكير الفعل وما جرى مجراه مع جمع التكسير[٢]، بيد أن الشاعر قد آثر التأنيث إشارة إلى صلاح أمهات تلك العصابة؛ فليس أدل على نقاء الأحساب والأنساب من طهارة وعفة الأمهات، وقد دلت تلك الصفة على الكرم ومن اتصف به وهو الأحساب على جهة الثبوت؛ ما يعني استمرار ذلك الاتصاف في جميع الأزمنة؛ وهو ما يناسب الزمن السياقي ويتطابق معه تمامًا بقرينة لفظية تتمثل في الصيغة الصرفية، علاوة على المعنى الوظيفي للتركيب الجملي الوصفي الذي دلَّ في كلٍّ أولًا على ثبوت الاتصاف ببياض الوجوه، وثانيًا كرم الأحساب في جميع الأزمنة من خلال الثبوت لا التجدد والحدوث.

***

يقول أبو الوليد [المتقارب][٣]:

طَوِيلُ النِّجَادِ رَفِيعُ العِمَادِ مُصَاصُ النِّجَارِ مِنَ الخَزْرَجِ

يصف الشاعر ممدوحه بأنه طويل القامة قوي البنية؛ ما ينم عن الشجاعة والبطولة، كما أنه عظيم في قومه كبير في عشيرته؛ وهي عبارات تقليدية تشير إلى كنايات تعليمية في الكتب البلاغية، وهو أخلص قومه نسبًا وحسبًا[٤].

---

(١) ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (٥٣٨هـ)، المفصل في صنعة الإعراب، تح: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، ط: ١، ١٩٩٣م، ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٢) ينظر: ابن هشام الأنصاري، حاشيتان على ألفيَّة ابن مالك، (٤٩٣/١).

(٣) حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، ص ٥٠.

(٤) ينظر: البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، ص ٧١.

ومن الناحية التركيبية لدينا تركيب جملي وصفي في قوله: (طويل النجاد – رفيع العماد)، وهما تركيبان يمثلان جملة وصفية صغرى من الخبر (طويل) لمبتدأ محذوف تقديره (هو)، أما (رفيع) فهو خبر ثانٍ، وكل من (طويل – رفيع) أضيف لفاعله (النجاد) ومفعوله (العماد) من باب إضافة الصفة المشبهة إلى معمولها؛ والتقدير: (طائل نجاده) (مرفوع عماده).

أما من الناحية الصرفية، فإن هذين التركيبين الجمليين الوصفيين وقع المسند فيهما صفة مشبهة (طويل) فعيل من طال بمعنى فاعل، و(رفيع) فعيل من رفع بمعنى مفعول، وقد أدت كل منهما معنى وظيفي مفاده الدلالة الصفة (الطول – الرفعة) والذات المتصفة بهما بقرينة السياق والصيغة، كما دلت كل منهما على الثبوت والاستمرار؛ وهذا متوافق تمامًا مع الزمن السياقي؛ إذ وصف الشاعر ممدوحه بما هو سجية فيه وأصل وطبع وسمة لا تتغير ولا تتحول ولا يمكن أن تنتقض باعتبار العرف، و(الطول – الرفعة) كلاهما لفظان يدلان على الارتفاع وعدم السقوط دلالة على المدح.

***

المبحث الثاني

أثر عدول الصيغة في الوظيفة والدلالة

إن العدول من المسائل التي تعكس ثراء اللغة وتنوع صيغها وتراكيبها؛ حتى إن المتكلم يمكنه أن يعبر عن المعنى الواحد بألفاظ وصيغ وتراكيب وأساليب مختلفة؛ سواء على المستوى المعجمي أو الصرفي أو النحوي أو البياني، وهذا نوع من التفنن والعطاء الذي توجهه ذائقة الأديب وحسه الفني، علاوة على ما يقتضيه السياق العام من ترك ما هو أصل في الدلالة، والاستناد إلى الفروع التي هي حينئذ تنهض بما لا ينهض به الفرع، ورُبَّ مرجوح كان في سياق يتطلبه أرجح، ورُبَّ حسن كان في مواضع تستدعيه أحسن؛ فالعدول ما هو إلا اختيار يمثل الخروج عن النمط الاعتيادي؛ سواء في لفظة أم صيغة أم تركيب إلى نمط آخر يتميز بكونه فنيًّا؛ إذ ترجحه رؤية الكاتب والزاوية التي ينظر منها ويتعاطى مع الموضوع[١].

وأرى أن مسألة العدول هذه لا تعدو أن تكون بابًا من أبواب التضمين[٢] على نحو ما ذكر اللغويون العرب في تضمين الأفعال بعضها معاني بعض، أو ما عبروا عنه بطريق آخر من خلال اختلاف المدارس النحوية باسم نيابة حروف الجر بعضها عن بعض، ولا مشاحة في الاصطلاح؛ فسواء أكانت المسألة من باب النيابة كما يرى

---

(١) ينظر: هنداوي، عبد الحميد أحمد، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم: دراسة نظرية تطبيقية، المكتبة العصرية – بيروت، ط: ١، ٢٠٠٨م، ص ١٤٣.

(٢) التضمين هو إشراب اللفظ معنى لفظ آخر وإعطاؤه حكمه لتصير الكلمة تؤدي معنى كلمتين. ينظر: الصبان، حاشية على شرح الأشموني، (١٣٨/٢).

الكوفيون أم من باب التضمين كما يرى البصريون[١]، فإن الواقع اللغوي واحد ويشير إلى التعبير عن معنى واحد بأكثر من طريق نحوي أو صرفي؛ ومن هنا فيمكن القول بامتداد مسألة التضمين كي تشمل المشتقات ولا تكون مقصورة على الأفعال، والصيغة الأصلية المعدول عنها والصيغة الفرعية المعدول إليها كلاهما مقصود مطلوب وبهما تكتمل الدلالة العامة والمعنى العام للتركيب الجملي الوصفي[٢].

(١) ينظر: المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله (٧٤٩هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: د. فخر الدين قباوة، أ. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٩٩٢م، ص ٤٦.

(٢) ينظر: ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل (٣١٦هـ)، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة – بيروت، (دط)، (دت)، (١/٤١٤-٤١٥).

المطلب الأول

أثر عدول الصيغة في الوظيفة:

نسعى في هذا المطلب إلى إلقاء الضوء على أثر عدول الصيغة في الوظيفة التي تؤديها الجملة الوصفية أو التركيب الجملي الوصفي كما ورد في ديوان أبي الوليد حسان بن ثابت رضي الله عنه.

يقول أبو الوليد [الطويل][(١)]:

عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُثَنِّي جَنَاحَهُ إِلَى كَنَفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْهِدُ

يرثي أبو الوليد النبي –صلى الله عليه وسلم– بقصيدته الدالية الطولية هذه، ويصفه بأنه كان حانيًا على الأمة كلها، لا يفرق في المعاملة بينهم؛ فكان بارًّا بهم، يجعلهم دائمًا في رعايته، ويمهد لهم أسباب العيش والراحة والسعادة في الدنيا والآخرة، كما يحنو الطائر على أفراخه ويجعلها في كنفه ورعايته ويمهد لهم مستقرها ومستراحها[(٢)].

ومن الناحية التركيبة نجد في البيت السابق تركيبا جمليا وصفيا جاء المسند فيه وصفًا (عطوف) وقد تعلق به الجار والمجرور (عليهم) فهو في محل نصب على المفعولية، و(عطوف) خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (هو) يعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، ص ٦٢.

(٢) ينظر: البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، ص ٩٣.

ومن الناحية الصرفية فالمسند (عطوف) بزنة (فعول)، وقد أراد به الشاعر اسم الفاعل من الفعل عطف يعطف عَطْفًا فهو عاطف، وقد عدل عن صيغة فاعل إلى صيغة فعول كون فاعل تفيد التجدد والحدوث إلى صيغة الصفة المشبهة للدلالة على الثبوت والرسوخ؛ ما أثر في وظيفة التركيب الجملي الوصفي وجعله ينتقل من التجدد إلى الثبوت.

***

يقول أبو الوليد [الطويل](١):

مَسَامِيحُ بِالمَعْرُوفِ وَسْطَ رِحَالِنَا وَشُبَّانُنَا بِالفُحْشِ أَبْخَلُ بَاخِلِ

المساميح جمع مِسماح من السماحة، يريد نحن أجود بالعطاء على قومنا ونحن في منازلنا نقدم كل ما نستطيع لكل سائل، وشبابنا نشأوا على العفة فهو أبخل الناس بالفحش والتفحش(٢).

ومن الناحية التركيبية لدينا تركيب جملي وصفي يتألف من الوصف (مساميح) ومتعلقه من الجار والمجرور في محل نصب على المفعولية (بالمعروف)، وقد وقع الوصف خبرًا عن مبتدأ محذوف يدل عليه المقام؛ والتقدير: (نحن مساميح).

أما من الناحية الصرفية فلدينا الوصف العامل (مساميح) صيغة مبالغة بزنة (مِفعال)، وقد أورده الشاعر مكسرًا على مفاعيل، وكان الأصل في هذا المقام أن يعبر

---

(١) حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، ص ١٨٧.

(٢) ينظر: البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، ص ٣١٥.

الشاعر بالصفة المشبهة التي جرى العرف اللغوي والتداولي على استعماله بقولهم: (سَمْح) بزنة (فَعْل) المجموع على سِماح بكسر المهملة وسُمحاء على وزن خلفاء.

على أن الملاحظ أن الشاعر قد حاد عن الاستعمال اللغوي المشهور؛ فعدل عن استعمال الصفة المشبهة (سمحاء) إلى صيغة المبالغة (مساميح)؛ فانتقل بذلك المعنى الوظيفي للتركيب الجملي الوصفي من الوصف المتضمن الثبوت والرسوخ إلى الوصف المتضمن التجدد والحدوث مع الكثرة.

***

يقول أبو الوليد [الطويل](١):

تَنَاوَلْ سُهَيْلًا فِي السَّمَاءِ فَهَاتِهِ ... سَتُدْرِكُنَا إِنْ نِلْتَهُ بِالأَنَامِلِ
أَلَسْنَا بِحَلَّالِينَ أَرْضَ عَدُوِّنَا ... تَأَرَّ قَلِيلًا سَلْ بِنَا فِي القَبَائِلِ

يتحدث أبو الوليد في هذه القصيدة مفتخرًا بنفسه وقومه ومكانتهم العالية التي لا ترام؛ فلا يستطيع أحد أن يدرك شأوهم اللهم إلا أن أدرك سهيلا في السماء؛ بدليل أنهم نزلوا أرض أعدائهم واحتلوها وضموها إلى أرضهم وديارهم(٢).

من الناحية التركيبة لدينا تركيب جملي وصفي يتمثل في الوصف (حلالين) وفاعله المستتر تقديره (نحن) ومفعوله (أرض) وقد عملت صيغة المبالغة معتمدة على أمرين؛ أحدهما: النفي المتمثل في (ليس)، والآخر: ذو الخبر المتمثل في اسم ليس (نا).

(١) حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، ص ١٨٦.
(٢) ينظر: البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، ص ٣١٤.

ومن الناحية الصرفية كان الأصل التعبير باسم الفاعل (حالين) لإكساب التركيب الجملي الوصفي معنى وظيفي يتمثل في الدلالة على الحدث (الحلول) والمتصف به (قوم أبي الوليد) مع التجدد والحدوث والمعالجة والمزاولة، بيد أن الشاعر عدل عن هذه الصيغة (حالين)، واستعمل صيغة المبالغة (حلالين) إكساب المعنى الوظيفي للتركيب الجملي الوصفي معنى وظيفيًا مهمًا لا يفيده اسم الفاعل، وهو الدلالة على الكثرة في تكرار الحدث، وهو الأمر الذي سنعكس على الدلالة كما سيأتي في موضعه.

المطلب الثاني

أثر عدول الصيغة في الدلالة:

حاولتُ في هذا المطلب أن أبين أثر عدول الصيغة في الدلالة التي تؤديها الجملة الوصفية أو التركيب الجملي الوصفي كما ورد في ديوان أبي الوليد حسان بن ثابت رضي الله عنه.

يقول أبو الوليد [الطويل][(١)]:

عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُثَنِّي جَنَاحَهُ إِلَى كَنَفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْهِدُ

وقد ورد هذا البيت سابقًا عند الحديث عن أثر العدول في الوظيفة، وتبين أن العدول من فاعل إلى فعول أكسب التركيب الجملي الوصفي (عطوف عليهم) الدلالة على الثبوت والرسوخ والأصالة من خلال الانتقال من اسم الفاعل بدلالته على التجدد والحدوث إلى الصفة المشبهة، وهنا يلوح سؤال مفاده: هل امتد أثر هذا العدول الصرفي الذي انعكس على الوظيفة إلى التأثير في الدلالة أيضًا؟

في الحقيقة لا يلجا الأديب إلى العدول إلا لأغراض فنية وفوائد دلالية؛ فما كان العدول أو الانزياح عبثيًّا فوضويًّا لا سيما مع الأدباء الكبار من الشعراء، إن الشاعر بعدوله عن اسم الفاعل وما يفيده من حدوث عارض وتجدد من حين لآخر يكون قد نفى عن النبي –صلى الله عليه وسلم– مظنة أن تلك الأفعال كانت عارضة وغير أصيلة فيه؛ فربما يعطف بشكل عارض وفي سياقات معينة، أو ربما هو يميل إلى قوم على حساب آخرين؛ فأراد الشاعر الانصراف التام عن تلك الظنون التي ربما

(١) سبق تخريجه.

توقع فيها الصيغة، وعدل إلى الصفة المشبهة بدلالتها المعروفة على الثبوت في جميع الأزمنة؛ فأفاد التركيب الجملي الوصفي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- عطوف دائمًا، وأن هذه سجية من سجاياه الشريفة، وأنه لا يفرق بين أمته في المعاملة والحنو والتقريب، بل يقف من الجميع على مسافة واحدة؛ هي مسافة الرحمة والمودة والعدل والعطف.

***

يقول أبو الوليد [الطويل](١):

مَسَامِيحُ بِالمَعْرُوفِ وَسْطَ رِحَالِنَا وَشُبَّانُنَا بِالفُحْشِ أَبْخَلُ بَاخِلِ

سبق تناول هذا البيت عند الحديث عن أثر العدول في المعنى الوظيفي، على أن الأمر لا يقف عند التأثير العدولي في المعنى الوظيفي، بل يتجاوز ذلك لينال الدلالة؛ ويمكن بيان ذلك إذا عرفنا أن استعمال الصفة المشبهة (سمحاء) كان ذلك سيعني أنهم متصفون بالعطاء بشكل دائم وأن هذه سجية راسخة ومستقرة في نفوسهم الكريمة، لكن ما الذي يجعل الشاعر يعدل عن ذلك ويؤثر استعمال صيغة المبالغة (مساميح) وإن تأتي هكذا مكسرة أعلى ما يكون التكسير (صيغة منتهى الجموع)؟

يتضح ذلك إذا علمنا أن الصفة المشبهة في هذا السياق لن تفيد ما تفيده صيغة المبالغة من التجدد والحدوث الذي يقترن بمواقف وسياقات مختلفة؛ منها أنهم قد يكونون أحيانًا في سعة ويسهل عليهم العطاء، وقد يكونون في أحيان أخرى في شدة وقحط فيكون العطاء صعبًا على نفوسهم لما جُبلت عليه النفوس من الشح

(١) سبق تخريجه.

وحب الخير، لكن برغم ذلك فإنهم يعطون بسماحة وبكثرة، يعطون عطاء من لا يخشى الفقر؛ ومن هنا اكتسب التركيب الجملي الوصفي (مساميح بالمعروف) الدلالة على التجدد والحدوث في مواقف وسياقات وتفاصيل مختلفة، علاوة على الدلالة على الكثرة في العطاء على أي حال؛ سواء في الرخاء أم الشدة؛ ومن هنا أرى أن العدول في الصيغة كان له أبلغ الأثر الذي انعكس بوضوح في التركيب الجملي الوصفي.

***

يقول أبو الوليد [الطويل][1]:

تَنَاوَلْ سُهَيْلًا فِي السَّمَاءِ فَهَاتِهِ ... سَتُدْرِكُنَا إِنْ نِلْتَهُ بِالأَنَامِلِ
أَلَسْنَا بِحَلَّالِينَ أَرْضَ عَدُوِنَا ... تَأَرَّ قَلِيلًا سَلْ بِنَا فِي القَبَائِلِ

وقد ورد هذان البيتان عند الحديث عن أثر العدول في المعنى الوظيفي، وهناك بينت معنى البيتين وسياقهما، وشرحت التركيب من الناحيتين: النحوية، والصرفية، وهنا أتناول ما وقع بسبب هذا العدول في الصيغة من تأثير في دلالة هذا التركيب الجملي الوصفي المتمثل في قوله: (حَلَّالِينَ أَرْضَ...).

عدل الشاعر عن صيغة اسم الفاعل ونحا نحو صيغة المبالغة لما في هذه الأخيرة من الدلالة على الكثرة في تكرار الحدث، وهو الأمر الذي لا يدل عليه اسم الفاعل، وقد انعكس ذلك على الدلالة؛ إذ يتبين من صيغة المبالغة أن الشاعر وقومه كانوا يحلون الكثير من أرض الأعداء؛ فهم قوم جبابرة محاربون أبطال؛ وهو الأمر الذي خلق لهم الكثير من الأعداء الكاشحين المناوئين، وأورثهم الكثير من المنافسين، لكنهم كان لهم غزو كثير وصولات وجولات حلوا بعدها أراضي أعدائهم،

(١) سبق تخريجه.

فلم يكن لهم حلول واحد، بل كانوا حلالين كثيري الحلول في الكثير من الأراضي؛ فهم قوم عادتهم الغزو والسيطرة على أرض أعدائهم؛ ومن هنا يتبين دقة العدول وحسن اختياره في تعبير التركيب الجملي الوصفي عن المعنى المراد.

الخاتمة

بعد هذا التطواف مع التركيب الجملي الوصفي، وبيان المقصود بالجملة الوصفية وأنواعها، والمعاني الوظيفية التي تؤديها، والتعريج على بيان مدى مناسبة الصيغة للوظيفة والمعنى والزمن السياقي، وانتهاء ببيان أثر العدول في كل من الوظيفة والدلالة بالتطبيق في كل ذلك على ديوان أبي الوليد حسان بن ثابت الأنصاري – رضي الله عنه– خلص البحث إلى مجموعة من النتائج، وبعض التوصيات.

أولًا: النتائج:

خلص البحث إلى مجموعة من النتائج؛ لعل أبرزها:

- الجملة الوصفية تتألف من مبتدأ وصف أو مؤول به كالمنسوب، مسند إلى مرفوعه، وهي الجملة الوصفية الكبرى، وهناك الجملة الوصفية الصغرى التي يكون فيها الوصف مع معموله حلقة صغرى في إسناد أكبر، وهذا النوع الثاني هو ما أطلق عليه بعض الباحثين مصطلح التركيب الجملي الوصفي.
- على الرغم من حداثة هذا الاتجاه القائل بالجملة الوصفية وأنها جملة مستقلة قائمة برأسها، فإننا نجد أصداء تتردد لهذا الاتجاه عند المحققين من العلماء؛ من أمثال: ابن مالك، وابن هشام، والرضي.
- إن مصطلح الجملة الوصفية مصطلح مشترك تشترك فيه الجملة الواقعة نعتًا مع الجملة ذات المسند الاشتقاقي العامل؛ ومن ثم ينبغي أن يكون للأخيرة مصطلح خاص يميزها كالجملة الاشتقاقية.
- المراد بالمعنى الوظيفي الذي تؤديه الجملة الوصفية هو المعنى العام المتحصل من صيغة المسند مع المعنى المعجمي علاوة على المعنى الوظيفي النحوي للتركيب؛ ومن ثم فهو معنى نهائي يتألف من مجموع تلك

المعاني؛ ويكون متمثلًا في معان خبرية أو إنشائية؛ مثل: التأكيد، النهي، الأمر...إلخ.

- لم تقع الجملة الوصفية المستقلة القائمة برأسها في ديوان أبي الوليد –رضي الله عنه– إلا على عدم اعتبار مسألة الاعتماد التي اشترطها بعض النحاة، لكن كان الحضور للتراكيب الجملية الوصفية التي تمثل الجملة الوصفية الصغرى.
- نلاحظ حسن اختيار أبي الوليد للصيغ الصرفية التي تمثل المسند في التراكيب الجملية الوصفية ومناسبتها للوظيفة النحوية والمعنى المراد.
- كما نلحظ أن هناك تناسبًا تامًّا بين صيغة المسند الاشتقاقي للزمن السياقي النحوي؛ سواء من خلال الصيغة نفسها وضعًا أم من خلال معونة القرائن اللفظية والمعنوية التي تكتنف السياق.
- كان للعدول في الصيغة الصرفية المتمثلة في المسند الوصفي في التراكيب الجملية الوصفية أبلغ الأثر في الوظيفة النحوية التي تؤديها تلك التراكيب الجملية؛ مثل: انتقال التركيب الوصفي من الدلالة على التجدد والحدوث إلى الدلالة على الثبوت والرسوخ.
- كان للعدول في الصيغة الصرفية المتمثلة في المسند الوصفي في التراكيب الجملية الوصفية أبلغ الأثر في الدلالة التي تؤديها تلك التراكيب الجملية؛ مثل: نفي الظنون التي تكون عارضة في مصاحبة بعض التراكيب عند تأسيسها على صيغ معينة؛ فيكون العدول مانعًا للبس من أول وهلة.

ثانياً: التوصيات:

اتخذ البحث بعض التوصيات؛ لعل أهمها:

- **العمل على دراسة التراكيب الوصفية الجملية بشكل موسع؛ سواء في القرآن الكريم أو في سنة النبي صلى الله عليه وسلم.**
- **دراسة الوظائف النحوية التي تؤديها الجملة الوصفية بالمقارنة بالوظائف التي يؤديها أنواع أخرى من الجمل؛ مثل: الجملة الشرطية أو الظرفية.**

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، تح: عبد مهنا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ٢، ١٩٩٤م.
- البرقوقي، عبد الرحمن، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط: ١، ١٩٢٩م.
- الأُشْمُوني، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الشافعي (٩٠٠هـ)، منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٩٩٨م.
- أيوب، عبد الرحمن محمد، دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح نشر وتوزيع – الكويت، (دط)، (دت).
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني، القاهرة، ط: ٣، ١٩٩٢م.
- أبو جعفر النَّحَّاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس (٣٣٨هـ)، إعراب القرآن، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤٢١هـ.
- ابن جني أبو الفتح عثمان الموصلي (٣٩٢هـ)، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة، ط: ٤، (دت).
- حسان، تمام، إعادة وصف اللغة العربية ألسنيًّا، أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية – تونس ١٣-١٩، سلسلة اللسانيات (٤)، ديسمبر ١٩٨١م.

- حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة – الدار البيضاء، (دط)، ١٩٩٤م.
- حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو – مصر، ط: ١، ١٩٥٥م.
- حسن، عباس (١٣٩٨هـ)، النحو الوافي، دار المعارف – مصر، ط: ١٥، (دت).
- حماسة، محمد، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، مطبوعات جامعة الكويت – الكويت، (دط)، ١٩٨٤م.
- الرضي الاستراباذي، محمد بن الحسن نجم الدين (٦٨٦هـ): شرح الرضي على الكافية، تح: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس – بنغازي، ط: ٢، ١٩٩٦م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (٥٣٨هـ)، المفصل في صنعة الإعراب، تح: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، ط: ١، ١٩٩٣م.
- أبو سعيد السيرافي، الحسن بن عبد الله بن المرزبان (٣٦٨ هـ)، شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ٢٠٠٨م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (٩١١هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر، (دط)، (دت).
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير

الدين (٧٤٥ هـ)، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تح: د. حسن هنداوي، دار القلم – دمشق، ط: ١، ١٩٩٧م.

- الساقي، فاضل مصطفى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي – القاهرة، (دط)، ١٩٧٧م.
- ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل (٣١٦هـ)، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة – بيروت، (دط)، (دت).
- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب (١٨٠هـ)، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط: ٣، ١٩٨٨م.
- الشاطبي، أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي (٧٩٠ هـ)، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تح: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين وآخرون، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى – مكة المكرمة، ط: ١، ٢٠٠٧م.
- الشاوش، محمد، ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة في اللغة العربية، الموقف الأدبي، العدد (١٣٦).
- الصبان، أبو العرفان محمد بن علي الشافعي (١٢٠٦هـ)، حاشية على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٩٩٧م.
- صلاح، شعبان، الجملة الوصفية في النحو العربي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٤م.

- ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (٧٦٩هـ)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث – القاهرة، ط: ٢٠، ١٩٨٠م.
- ابن قاسم العبادي، أحمد بن قاسم الصباغ العبادي (٩٩٢هـ)، رسالة في اسم الفاعل المراد به الاستمرار في جميع الأزمنة، تح: د. محمد حسن عواد، دار الفرقان – عمّان، ط: ١، ١٩٨٣م.
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (١٠٩٤هـ)، الكليات، تح: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، (دط)، (دت).
- المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس (٢٨٥هـ)، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب – بيروت، (دط)، (دت).
- المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله (٧٤٩هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: د. فخر الدين قباوة، أ. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٩٩٢م.
- أبو المكارم، علي، التراكيب الإسنادية؛ الجمل: الظرفية – الوصفية – الشرطية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٧م.
- النجار، لطيفة إبراهيم، دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها، دار البشير – عمّان، ط: ١، ١٩٩٤م.
- ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف (٧٦١هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، ط: ٦، ١٩٨٥م.
- هنداوي، عبد الحميد أحمد، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم: دراسة نظرية تطبيقية، المكتبة العصرية – بيروت، ط: ١، ٢٠٠٨م.